ألرهبان الكبوجيون في بلادنا

✍ بهنام سليم حبابه

ألكبوجيون فرع من رهبنة القدّيس فرنسيس الأسيزي (١١٨٢-١٢٢٦) وهم الفرنسيسكان واسم الكبوجيين نسبة الى Capucino الايطالية، والتي تعني غطاء الرأس. ويعتبر الأب ماثيو دي باسيه مؤسسًا لهذا النوع، وذلك سنة ١٥٢٥ وقد قصد به العودة الى الصرامة التي تميّز بها عهد القدّيس فرنسيس. واعترف بهم الكرسي الرسولي رسميًا في ١٦١٩. والكبوجيون يرتدون الرداء (البنّي) مثل الفرنسيسكان مع القلنسوة الكبيرة التي كانت تغطي رؤوسهم، فتميّزهم من سائر الرهبان، ومن هنا جاء اسمهم.

أسس الكبوجيون لهم في بلاد الشرق أديارًا ومدارس ومشاريع خيرية منذ القرن ١٧: في صيدا عام ١٦٢٥ وحلب وبيروت ١٦٢٨ وطرابلس الشام ١٦٢٩ ودمشق ١٦٣٧ ومصر ١٦٢٦ وبغداد ١٦٢٨ والموصل ١٦٣٢.

- في بغداد

قدموا الى بغداد في سنة ١٦٢٨، كما ورد في رحلة الأب باسيفيك المسؤول عن تلك البعثة إذ يكتب : «كان وصولنا حوالي ١٢ آب ١٦٢٨، وبعد مقابلة الوالي نلنا منه رخصة لكي نعد غرفة صغيرة ننصب فيها مذبحًا نظيفًا وخاشعًا...» ثم قرر الآباء ان يتعيّن احدهم في بغداد، وقد اسكنوهُ لدى كاهن نسطوري، فأقام خمسة أشهر، بينما رحل الأب باسيفيك الى أصفهان، ونال من الملك بيتًا للرهبان في بغداد كهدية الى ملك فرنسا. ولما عاد الى مدينة الرشيد اختار موضعًا في قلب المدينة حيث فُتحَ دير الآباء الكبوجيين ... وفي ذلك الدير خصّص الرهبان مكانًا جعلوه معبداً على اسم مار يوسف، كان يحتضن المسيحيين من جميع الطوائف. وكانت لهم مدرسة فيها ما بين ٢٠-٢٥ صبيًا، وعدد الآباء ثلاثة يتكلمون العربية والتركية والفارسية. وعندما احتل العثمانيون بغداد في ١٦٣٨/١٢/٢٥ وضعوا اليد على دير الآباء وبيعتهم، فتوسط لهم عند السلطان ميخائيل اغاطوبجي باشي فأعاد الدير الى اصحابه.

وكان احد اولئك الرهبان يتعاطى الطب إذ له في هذا الميدان خبرة واسعة، وقد عالج الباشا - الوالي - فشفاه من مرض أبتلي به، ولذا اخذ يرسل لهم يوميًا صَدَقة طيبة ... ولما تراكمت

الصدقات اخذوا يوزعونها على فقراء المسيحيين.

ولكن الامور انقلبت على الرهبان الكبوجيين بعد زمن قليل على عهد الوزير الخاصكي محمد باشا ١٦٥٨، فقد ذهب بعض ضعاف النفوس الى الوالي ووشوا بهم عنده، فاضطهدهم ووضع يده على ديرهم وهدم بيعتهم وأقام مكانها مسجداً فعاشوا فترة حياة تعيسة، لكن الباشا بعد ان بحث عن الحقيقة ظهرت له براءتهم وبانت نقاوة سيرتهم فاشترى بيتًا جديداً احسن من السابق وجعل من الطابق الارضي معبداً وسلّمه اليهم فعادوا الى البيت فرحين. والمسجد المقام عُرف بأسم جامع محمد باشا السلحدار او جامع الخاصّكي وهو قائم الى اليوم.

امـا البيت الجديد الذي حلّ فيه الرهبان، فقد اصبح ملاذاً للمسيحيين من مختلف الطوائف. وهذا البيت كان ازاء الجامع الذي شيّده الوالي، على ان الامور انقلبت مرةً اخرى على الآباء الكبوجيين، ففي ١٢ ايلول ١٧٠١ هجم الجنود على ديرهم بحضور الوالي مصطفى باشا الذي أمر بهدم قسم من الدار ثم طرد الرهبان، فذهبوا وحلّوا في بيت احد المسيحيين. ولم تُجد الشكايات والوسـاطات نفعـًا لدى الباب العالي في اســتانبول، فغادر الآباء مدينة السلاَم في ١٧٠٨.

- وفي الموصل

فتح الكبوجيون رسالتهم فيها سنة ١٦٣٢ واتخذوا لهم مقراً في دار قريبة من النهر في محلة مار إشعيا، وسرعان ما افلحت هذه الرسالة إلا ان هذا النجاح أوقع الرهبان في خطر، فإن الاضطهادات والسجون أدركتهم بين سنتي ١٦٦٥ - ١٦٦٧، وكانوا قبلاً قد غادروا المـدينة ثم عادوا اليها في ١٦٦٣ لمواصلة الخدمة. ولما اشرف محل سكناهم على الانهدام، منعهم والي المدينة من ترميمه، فتحولوا الى دار اخرى، وهكذا الى سنة ١٧٢٢ إذ هجم بعض الرعاع على دارهم وذبحوا ليلاً الأب بطرس ايسودون ونهبوا البيت بمحتوياته، فسعى آل عبد الجليل لدفن الراهب المذكور في مقبرتهم الموجودة الى اليوم في بيعة شمعون الصفا. بعد هذا هجر الآباء الكبوجيون مدينة الموصل سنة ١٧٢٤ ولم يعودوا اليها. وقد كثر الانتماء الى الكنيسة الكاثوليكية في الموصل على يد هؤلاء الآباء والقس خدر الموصلي وهو احد قسس بيعة مار إشعيا. ***فمن هو هذا القس خدر - تلميذ الكبوجيين ؟***

انه ابن المقدسي الياس ابن الشماس هرمز الموصلي، ولقب الأسرة، التي ينتمي اليها، يُعرف اليوم بأسم شعّاوي. ولد القس خدر سنة ١٦٧٩ وصار قسيسًا في بيعة مار إشعيا، وكان ذكيًا مولعًا بالدرس والمطالعة، وهو من ابناء البيعة الشرقية النسطورية. فتح مدرسة انتمى اليها

تلاميذ من الموصل وخارجها، وعكف على التعليم فيها بكل همّة مدة ٣٠ سنة. انتمى الى الكنيسة الكاثوليكية على يد الكبوجيين فناله بعض الاضطهاد. لذا غادر الموصل الى حلب ثم الى روما فوصلها في ١٧٢٥/٢/٢٤، متابعًا دراسته ومطالعاته حتى أصبح من المعتمدين في بلاد المشرق، وانتفع منه العلاّمة يوسف سمعان السمعاني في معلومات كثيرة في حقل الادب السرياني والتقاليد الشرقية، وكانت له اليد الطولى في ارسال الآباء الدومنكان الى الموصل ونواحيها، بعد ان فشل في سبيل عودة الآباء الكبوجيين. توفي القس خدر في روما في ١٧٥١/١٢/٣٠، وقد اوصى بكتبه ومخطوطاته للقس يوسف بهنام الموصلي الطالب في روما آنذاك. وأعطى معجمه الذي ألفّه بثلاث لغات - العربية والكلدانية والتركية - الى جامعة انتشار الايمان ليطبع لكنه لم يُنشر الى اليوم، وكذلك بقية مؤلفاته الاخرى المخطوطة وهي الآن في مكتبة الڤاتيكان ومكتبة باريس الوطنية. كتب عدة نسخ من معجمه المذكور الذي سمّاه (الترجمان)، أفضلها نسخة دير الشرفة وتقع بأكثر من ألف صحيفة. وله تاريخ كنسي موجز محفوظ في مكتبة برمنغهام. كما وضع مداريش بالعربية للموتى وبعض الاناشيد والمدائح البيعية، لا تزال مستعملة الى اليوم، برغم ركاكتها، وله معجم (عربي - كلداني) اكمله سنة ١٧٢٧ وانتسخ منه نسخًا عديدة. وترجم من الكلدانية واليها بعض الكتب الدينية، وكذلك من الايطالية.

عاش القس خدر بتولاً وكانت هناك بعض المحاولات لانتخابه مطرانًا للموصل (*).

- وفي اعالي ما بين النهرين أسس الآباء الكبوجيون ديراً في ديار بكر سنة ١٦٦٧، ثم خلت من الرهبان بعد كارثة الطاعون الذي فتك بتلك المدينة في سنة ١٧٥٩، واستؤنفت فيها الرسالة ثم انتقلت من الرهبان الفرنسيين الى الايطاليين ثم الاسبان فالايطاليين الى سنة ١٨٩٣. وأخيراً آلت الرسالة الى الرهبان الفرنسيين وظلت في ايديهم.

اما في ماردين، فبدأت خدمتهم سنة ١٦٨٥ ثم انقطعت وتجددت في ١٨٤١، وفي الوقت الحاضر تركوا ماردين وديار بكر.

- وممن اشتهر في ديار بكر من الكبوجيين القاصد الرسولي (نقولا كستاس) الذي ورد اسمه في مقدمة العهد الجديد من الكتاب المقدس - طبعة الآباء الدومينكان بالموصل حيث

(*) والقس خدر هو خال القس فرنسيس (ذخيرة الاذهان ج ٢ ص ٤٢٠) احد قسس بيعة مار إشعيا في القرن الماضي، وهذا جد القس بطرس نصري (+١٩١٧) صاحب ذخيرة الاذهان، فانه ابن القس جرجس ابن القس فرنسيس. وللقس فرنسيس ولد آخر هو القس يوسف المكنّى ابو عزيز (+١٩٠٠).

كتب : «نحن نقولا كستاس الراهب من رهبنة مار فرنسيس الكبوجيين الصغار ... مطران مرقيانوبليس والقاصد الرسولي في ما بين النهرين ...». وهو الذي وضع حجر الاساس لبيعة الآباء الدومينكان بالموصل في ٩ نيسان ١٨٦٦.

وكان لهذا القاصد معاون هو المطران زكريا ننشاي الكبوجي أسقف مارونية الذي قام بتكريس بيعة الآباء المذكورة وافتتاحها في ٤ آب ١٨٧٣. ومن غريب المصادفات ان القاصد ومعاونه توفيا في ديار بكر اواخر العام ١٨٧٣ وخدم الآباء الكبوجيـــون في اســـتانبول حيث كان لهـــم معهد اكليريكي شهير بأسم (القديس لويس) تخرج فيه **من الكلدان** : المطران اسطيفان كجو (الاول) المعاون البطريركي على الموصل (ت ١٩٥٣) والمطران سليمان كوچك اوسطه (ت ١٩٣٩) والمونسنيور عبد الاحد دهان الوكيل البطـــريركي في پاريس (ت ١٩٧٠) والقس بثيـــون تمـــرز الديـــار بكـــري والقـــس گـــورگيس عبدو السعردي .. **ومن السريان الكاثوليك** : المطران جرجس ستيته مطران دمشق الاسبق.

وقد انهى هذا المعهد الكهنوتي مَـهَـمَّـته في عهد الجمهورية التركية، وكان قد اتخذه مقراً مؤقتًا المطران جبرائيل بطّة راعي ابرشية الكلدان في تركيا (١٩٦٦-١٩٧٧)، وقد زرته فيه في آب ١٩٦٨.

- الاب يعقوب الكبوجي

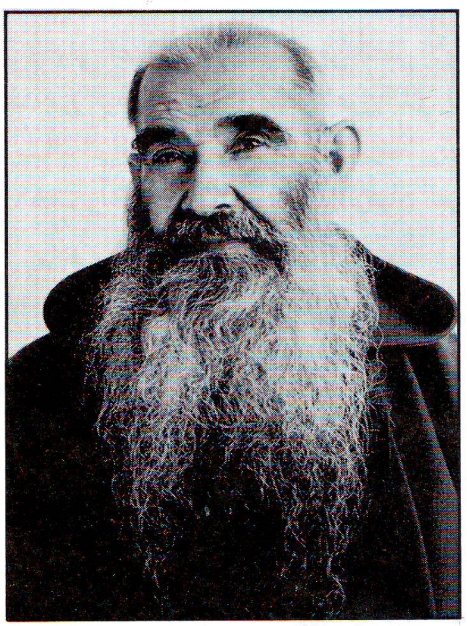

هذا باختصار عن خدمة الآباء الكبوجيين. وجميل جداً ذكرُ خبر احد آباء هذه الرهبنة المباركة وهو الاب يعقوب الحداد اللبناني الذي اشتهر بأعماله ومشاريعه المبرورة وعطر فضائله.

فقد ولد في غزير بلبنان عام ١٨٧٥ وكان الثالث ما بين ١٤ ولداً. إنتمى إلى الآباء الكبوجيين في دير القديس انطونيوس وصار قسيسًا راهبًا سنة ١٩٠١. وتسلّم ادارة ١٦٣ مدرسة للكبوجيين في سائر انحاء لبنان. وبعد الحرب العظمى الاولى وضع أساس مشروع دير الصليب قرب بيروت للكهنة المتقدمين في السن. وكان له الفضل في تأسيس جمعية (راهبات الصليب) لخدمة القسس المسنيّن، والمرضى وذوي

العاهات المزمنة والمعتوهين والمصابين بالامراض العصبية والنفسية .

وفي عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٦ زار سوريا والعراق والأردن وفلسطين. وخلال الحرب العظمى الثانية فتح الاب يعقوب الكبوجي مؤسسات اجتماعية وانسانية متنوعة: مستشفى دير الصليب ومستشفى مار يوسف ومأوى للعجزة ومدرسة ودير في منطقة برمّانا بلبنان، ودار العناية الإلّهية في بيروت ودير سيدة البير. وآخر مؤسسة بناها وافتتحها في ١٩٥٢ كنيسة المسيح الملك والمشغل الكنسي والمأوى للكهنة المسنين عند مصب نهر الكلب. وقد بلغ عدد راهبات الصليب، في حياته ١٣٠، والمبتدئات ٢٠. اما عدد المؤسسات التي اقامها فبلغ ١٢، والمرضى الذين عالهم واهتم بهم زاد على ١٢٠٠ !!

وتوفي الأب يعقوب الكبوجي في ١٩٥٤/٦/٢٦، وقد شهدت له الكنيسة المقدسة ببطولة فضائله، وليس ببعيد اليوم الذي تُعلَن فيه قداسته، فكان سبّاقًا للعطاء والخدمة بدون النظر الى المعتقدات والمذاهب، فمن المعلوم ان غير المسيحيين الذين اسعفهم دير الصليب كانوا اكثر من المسيحيين. وقد كان شعار الأب يعقوب الكبوجي، إن الينبوع لا يسأل العطشان من اي بلد او من أي دين انت ؟ انت عطشان ؟ إشرب .. (باختصار عن المسرة - عدد ٨٠٠ - ١٩٩٣ - ص ٦٥٣ وما بعدها).

المصادر والمراجع :

(١) المنجد لسنة ١٩٥٦.
(٢) د. ابراهيم العلاف، نشأة الصحافة العربية.
(٣) القس د. بطرس حداد - كنائس بغداد وديراتها، بغداد ١٩٩٤.
(٤) مجلة «المسرّة» العدد ٨٠٠ ، السلاسل التاريخية لطرّازي.
(٥) القس ألبير أبونا، تاريخ الادب الآرامي ، بيروت ١٩٧٠.
(٦) القس بطرس نصري، ذخيرة الاذهان ج٢، الموصل ١٩١٣، مع التكملة الخطية المعروفة «خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية».

حاشية

ان كتابة اسم الكبوجيين ولفظه بـ Ch هو الصحيح بما ان الاصل من (كابوجينو).
اما كتابة (كبوشيين) فمردّه ان اخواننا خارج العراق يصعب عليهم اللفظ فجعلوه ش : كما انهم لا يلفظون حرف الذال th فجعلوه (دالاً) وشوهوا بذلك من الجملة كلمة (العماذ) فجعلوها عماداً!! في حين أن الكلمة المعروفة شعبيًا وكنسيًا هي (العماذ). فلماذا التشويه ؟!